المحاضرة الاولى: المشكلة المعرفية و الخطاب الجمالي

إن الموضوعات الجميلة هي باستمرار مدركة في طابعها فكل موضوع جميل مدرك أو هو وسيلة أو مجال من المدركات و من المفيد أن نلاحظ أن الطابع الإدراكي لما هو جميل يصنع أمامنا الفارق الجوهري بين الفن من ناحية و العلم والفلسفة من ناحية أخرى فالفلسفة تهتم بالتصورات والمفاهيم ، وهي نتاج العقل التصوري كما أن العلم يسعى لتوضيح العلاقات بين الفئات و اكتشاف قوانين نموها و نزوعها " (2)

إذن فالأشياء الجميلة دائما هي مواضيع مدركة و هي وسائل يستعملها الفنان لاكتشاف الصور و اكتشاف ما هو جميل ، فالفرق بين الإدراك الفني و العلمي و الفلسفي هو أن التصورات العقلية التي ينتجها الذهن ليست جميلة و أن القوانين العلمية المجردة لا يمكن القول عليها أنها جميلة لكن الموضوع أو الإدراك الفني فهو مرتبط بما هو جميل دائما و هو إدراك خارجي مرتبط بالمواضيع الفيزيقية الخارجية .

1/أرنست فيشر : ضرورة الفن ، ترجمة أسعد حليم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،د ط ، د س ، ص 179.

2/المرجع نفسه ، ص 180 .

لكن ما هو مشترك بين الخطاب الجمالي و الفلسفي و العلمي هو وجود الإدراكات أمام الوعي إذن فعملية المعرفة في كل الخطابات تشترك في قيمة المعرفة والإدراك أيضا .

إن فلاسفة الجمال "ربما ذهبوا إلى أن الموضوعات الجميلة لبست عينية فحسب لكنها فضلا عن ذلك محسوسة أعني أنها تتألف من إدراكات خارجية نستقبلها من خلال قنوات الحواس ... و من الصواب بالطبع أن نقول أن جمال الطبيعة _ لو سلمنا بأن في الطبيعة جمالا أصلا _ هو باستمرار محسوس ، أو أن جميع الفنون تحمل بعض الجوانب الحسية " (1)

إن تأكيد فلاسفة الجمال أن المواضيع المدركة في الجمال محسوسة و أن الحواس هي المسؤولة عن جميع الإدراكات الفنية هي في الحقيقة إقصاء للوجدان الداخلي ، فقد نقول أحيانا عن أديب أو مفكر صاحب وجدان أو إحساس جميل "و من ثم جميع الأشياء الجميلة يمكن إدراكها إما بطريقة داخلية أو بطريقة خارجية ، و يمكن تأويل ذلك حسب فهم المدركات الداخلية من حيث أنها تكون مدركات مباشرة فقط بالنسبة للفرد المفرد الذي يخبرها " (2)

إن عملية المعرفة القائمة على الإدراك سواء كان داخلي أو خارجي في الخطابات الجمالية متكاملة فيما بينها ، فبالحس الداخلي للفنان يمكن أن يتصور و يتخيل أي عمل فني فيقوم بتجسيده في الواقع كما أن الحواس في اتصالها بالعالم الخارجي يمكن لها تركيب عمل فني جمالي عن طريق عملية الإدراك الحسي حين يتصل الحس بمحسوسه الذي ينشأ من خلال هذا الاتصال تصورات في الذهن عن طريق ذلك التواصل لبناء عمل فني و تكوين خطاب جماعي .

1/ولتر ستيس : معنى الجمال ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ،د ط ، 2000، ص 43 .

2/ المرجع نفسه ، ص 47 .